# الفصل الثاني

## حول الدراسة

## ضرورة المنهج اللغوى

## فى

## التفسير والتأويل

## ضرورة المنهج اللغوى فى التفسير والتأويل

نادى الإمام أحمد بضرورة الاهتمام بالمنهج اللغوى فى تفسير القرآن، وتاويل ونفى إمكانية فهمه بعيداً عن اللغة، إذ إن العربية هى لغة القرآن ، والعربية لغة القوم الذين نزل عليهم القرآن ، والقرآن إعجازه فى الأساس إعجاز لغوى . .

والرسالة التى نحققها عبارة عن بيان تطبيقى للمنهج اللغوى، فى توجيه النص وتفسيره على الوجه الصحيح، دون تحريف أو تزييف . .

وقد طلب بعض الإباضية من الخوارج - وهم أكثر الخوارج اعتدالاً - من أحد أتباع الإمام ، أن يفسر لهم بعض آيات القرآن ، مستعيناً باللغة فحسب . . فلبى الإمام طلبهم فى هذه الرسالة . .

فتناول الإمام قضية بيان أن هناك تضاد لغوى . . أو جواز اختلاف المعنى واللفظ واحدة ، ومن ذلك أن كلمه «وراء» تاتى فى اللغة بمعنى «قدام» .

أو أن النص من حيث التركيب والتصوير التمثيلى ، يذكر الصنم بلفظ إله على سبيل السخرية والتهكم.

أوان التركيب اللغوى يجيز أن تحل صيغة المفعول مكان صيغة الفاعل . . «كمرضية» حين تحل محل «راضية».

كما يتعرض الإمام فى رسالته إلى نفى بعض المفاهيم الجبرية ، التى يحاول الاتجاه الجبرى أن يبثها ويثبتها . . كالقول بان الله يخلق الجور فى عباده، أو يصرف بعض عباده عن الإيمان، وهو كلام خطير وينافى الحكمة والعدل، وحاول المجبرة الاستعانة بالنص أو اجتزاء الآيات، أو بعضها من سياقها لإثبات ذلك ، وكان شغلهم الشاغل هو إثبات أن الله هو خالق الكفر والفجور، على أصحابه وليس اختياراً وفعلاً لهم !

كذلك تعرض الإمام إلى ظاهرة الالتفات والتنويع فى الكلام ، عن طريق توجيه الضمائر وهى من سمات اللغة العربية ، وتدخل فى إطار البلاغة فى التركيب . .

أما تعدد المعانى للفظ الواحد . . ومجيئه فى القرآن بإحدى هذه المعانى ، دون غيرها فقد أرشد إليه الإمام ، ومن ذلك كلمة «فارغاً» . .

أما ظاهرة التقديم والتأخير فقد توقف عندها ، وتحدث عن شواهد كثيرة فى الشعر العربى والقرآن الكريم ، تدل عليها وتجيزها . .

وكذلك إيضاح بعض دلالات الألفاظ ، كبيان أن «يئس» تأتى بمعنى «أيقن» . . أو «ظن» تأتى بمعنى «أيقن» . . أو أن الصلاة بمعنى الدعاء . . أو أن «الجس» بمعنى الضرب والقتل. كما بين أن اللغة والمنهج اللغوى يستقيم مع العدل ، وذلك من خلال بيانه أن الاستطاعة قبل الفعل فى تفسير آية البقرة الشهيرة ، والمعروفة بآية الدين.

يأتى فى سياق نظرية العدل عند الزيدية ، أن يكون تاويل قوله، تعالى، لإبليس «استفزز» ليس على سبيل الأمر بالحث والحض والتفويض ، وإنما على سبيل الوعيد والتهديد . .

كما توقف الإمام عند ظاهرة دلالة الفعل ، يكون على الماضى والحاضر والمستقبل، عندما يكون المتكلم هو الله ، وكذلك دلالة الحرف «إذ» على المستقبل والمعهود والمعروف دلالته على الماضى .

كما أوضح الإمام ظاهرة الإضمار اللغوى بالحذف والاختصار فى القرآن الكريم . . وكونها من وجوه البلاغة فيه . .

وبين الإمام أهمية فهم هذه الآية دون سابق معرفة باللغة ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾[1] فالمجبرة تعتقد أن الله يريد الضلال من عباده ، ويقصده بعد بيانه لهم سبل الهدى . . والصواب هو أن يقول يبين الله لكم أن لا تقتلوا . . إذ هناك محذوف تقديره لا . . وحذف لا من السياق من المعروف فى لغة العرب . . وكذلك إثباتها مع كونها مهملة ولا يستطيع ذلك من جهل لغة العرب وكلامهم وأدبهم .

وأوضح الإمام معانى الفتنة فى القرآن الكريم ، فبين أنها تأتى على عشرة أوجه . . وكذلك معانى النظر فى القرآن والكبائر فى كتاب الله ، فأحصى أربعة عشر كبيرة . . وكذلك معانى الجهاد . .

ويأتى فى إطار نظرية العدل ما ذكره الإمام فى الفائدة من خلق الله للحيوانات الضارة لبنى آدم . . وكذلك بيان العلة من وراء كون الكفار لا يفقهون بقلوبهم

---

(١) سورة النساء : الآية ١٧٦ .

ولا يسمعون بآذانهم ولا يرون بأعينهم ، مع انها أدوات الإدراك والحس ، وأبواب الاستقبال عند الانسان لتلقى التكليف .. ومن ذلك بيانه ان الله لم يخلق أفعال العباد .. وبيان معنى الصرف والختم والتزيين والإضلال والإغواء . وهل يجبر الله عباده على بعض الأفعال .. وهل ينصر أعداءه على أوليائه؟!.. كما تعرض لنقد المشبهة فى الصفات الخبرية ، من خلال بيان جقيقة اليد والوجه والنظر فى القرآن الكريم ، وكذلك العرش والكرسى ، والفرح والمكر والمتعلقتين بصفات المعانى..

كما تصدى للمفهوم الجبرى فى أن الله يملى على عباده ما يريد منهم ، ثم يعذبهم على ما فعله بهم ، لا ما فعلوه هم بانفسهم !.. وبين أن الله عدل لا يجور .. وان نظرية الجبر تهدم أساس التكليف ، وتنقض التوحيد والعدل .

وامتازت الرسالة بالوضوح والثراء .. وهى بذاتها تمثل التفسير اللغوى لكثير من آيات القرآن الكريم ، التى تحسم الجدل القائم حول مفهوم المتشابه من الآيات ..وتبين ان لهذا المتشابه تفسيراً وتاويلاً ، يعرفه من يلم باركان واسس المنهج ، ويطلع على أجزائه.

ولذلك نرجو من الله أن نكون قد وفقنا عندما قدمنا لهذه الرسالة بالحديث عن الخوارج ، ثم بيان كون المنهج اللغوى ضرورة من ضرورات المنهج الإسلامى فى الفهم والتاويل .

***